

جلسة 2.3 محور العدالة – الصحة والأعمال الخيرية

مركز سيدة السلام، الحوار في الخدمة

الأب د. حنا الكلداني

أمين عام مجلس رؤساء الكنائس في الأردن

مقدمة:

إن عنوان مؤتمرنا العاشر هذا لحوار الأديان، يأتي في وقت مناسب، بل في وقت ضروري كي نستمتع إلى التجارب الناجحة في حوار الأديان، بعد مرور عشر سنوات على بدء مؤتمرات الدوحة. إن الحوار إذا أسفر عن خبرات ناجحة ولو بسيطة في التعايش والاستماع إلى الآخر والعمل معا نكون قد حققنا أمرا ملموسا ومفيدا. وإن بقي الحوار على البعد النظري، نكون بذلك قد أثرينا أدبيات الحوار، ولم نعبر إلى تطبيق رأي عملي. ورقتي هذه تتناول خبرة حقيقية وروحية وإيمانية واجتماعية صادقة في نقل الحوار الديني إلى مجال الخدمة والمحبة، ولا سيما خدمة اقل فئات المجتمع، وهي فئة أصحاب الحاجات الخاصة.

1-نبذة تاريخية عن مركز سيدة السلام:

إن بداية مركز سيدة السلام انطلقت من مجموعة عفوية من الشبان والشابات الأردنيين، اجتمعوا حول سيادة المطران سليم الصائغ، مطران اللاتين في عمان في التسعينيات من القرن الماضي. عرفت هذه المجموعة بـ "إيمان ونور". وكان هدفها زيارة المعاقين وخدمتهم والتواصل معهم في بيوتهم، ومحاربة ثقافة العيب أو الخجل من الإعاقة لدى الأهل، ودعوتهم لقبول مشيئة الله، ومن ثم النظر إلى الإعاقة في الأسرة كمبادرة إلى تفعيل محبة الله ورحمته تجاه ذوي الحاجات الخاصة. أسفر هذا التجمع الشبابي حول المطران سليم الصائغ عن إنشاء مركز سيدة السلام في منطقة ريفية حرجية إلى الجنوب من عمان. ويقع هذه المركز على مساحة 35 دونما.

إن التحدي الأكبر في قضية المعاقين في الأردن تكمن أولا في العقلية السائدة تجاه الإعاقة وموقف الأهل الأسرة السليبي في قبول واقع الإعاقة في الأسرة، وثانيا ضعف الإمكانيات والمراكز المتاحة للعناية في المعاقين في الأردن على المستويين الحكومي والخاص. أن التحدي الأكبر في قضية الإعاقة هو الخجل الذي يرافق الأهل من إعاقة احد أبنائهم، وتفسيرهم الإعاقة كأثما عقاب من الله أو ضربة تأديبية من الله في أولادهم. وعليه مارس الكثير من الأسر الحجر على أولادهم المعاقين، ومنع اختلاطهم في المجتمع وحتى الإعلان عن وجودهم في الأسرة. بدأت مجموعات إيمان ونور بالتواصل مع الأهل وتشجيع الأسر على فتح أبواب بيوتها أمام زيارات فرق التواصل من مجموعة إيمان ونور. وكان التحدي الأكبر أمام مجموعة إيمان ونور، هو أن يقبل الأهل بوجود المعاق ومن ثم التعامل معه ككائن بشري له حقوق إنسانية، ومن ثم إخراج المعاق من دائرته المغلقة إلى المجتمع الرحب، فيختلط في المجتمع ويسعى أهله إلى تقديم الخدمة التعليمية والعلاجية له.

إن خدمة أفقر الفقراء من الأشخاص ذوي الإعاقة، بتجرد كامل عن المواقف السياسية والفوارق الاجتماعية، وسيلة رائعة لتعميق الحس الإنساني والوطني لدى المواطنين، مسيحيين ومسلمين، وللخروج من الاتكالية على الحكومة والدولة والمؤسسات في كل شيء، لكي يتحمل المواطن ما عليه من مسؤوليات تجاه أخوته المواطنين الأقل حظاً منه، فيشعر مع أسر ذوي الاحتياجات الخاصة فسي آلامهم ومعاناتهم، ويعمل على توعيتهم على وجوب معاملة أبنائهم من ذوي الاحتياجات الخاصة بالحسنى، ويسعى معهم إلى خدمتهم وإشعارهم بكرامتهم، ويقدم لهم ما يستطيع من خدمات، ويطالب بالعيش الكريم لهم، وبسائر حقوقهم الوطنية والإنسانية الاجتماعية والأسرية الصحية والتعليمية. هذه الخبرة التي دامت بضع سنوات أدت إلى إنشاء مركز سيدة السلام، الذي تم افتتاحه في 15 نيسان 2004، تحت رعاية ملكية سامية، وانتدبت جلالة الملكة رانية العبد الله المعظمة سمو الأمير رعد بن زيد كبير الأمراء لافتتاح المركز.

2- مبادئ مركز سيدة السلام :

أ- المبدأ الإنساني:

إن الإنسان ذو الإعاقة هو إنسان صاحب حقوق، وأول حق له هو حقه في حياة كريمة. فالإنسان مهما كانت أحواله الصحية والمادية، لا يفقد كرامته وحقوقه الإنسانية، قال السيد المسيح: " فكل ما أردتم أن يفعل الناس لكم، افعلوه انتم لهم " (متى 7: 12). فنحن نؤمن أن في قلب كل إنسان كنوزاً من الحب الإنساني يجب أن نستثمرها لمصلحة ذوي الاحتياجات الخاصة.

ب- المبدأ الوطني:

إن الأشخاص ذوي الإعاقة هم مواطنون يتمتعون بكافة حقوقهم الوطنية، فعلى أن ندعمهم ليأخذوا مكانهم ومكانتهم وحقوقهم في المجتمع والوطن. ويقاس رقي الشعوب بدرجة حسن تعاملها مع الضعفاء من مواطنيها ولاسيما أصحاب الإعاقات.

ج- المبدأ الديني:

إن المجتمع الأردني، بكل فئاته الدينية، مجتمع متدين في عمق أعماقه. ومهما يكن من أمر التمايز والخصوصية بين الديانتين، فإن بينهما أرضية إيمانية مشتركة، وهي أن المسيحيين والمسلمين يؤمنون بالله الواحد خالق السماء والأرض، وأن الله هو مصدر كرامة الإنسان، وأنه رحمن رحيم، وإن الله محبة. فعلى هذه الأرضية الإيمانية، يقف المواطنون، مسيحيون ومسلمون على أرض صلبة، لكي يخدموا سوية الأشخاص ذوي الإعاقة. لأننا نؤمن بأن في قلب كل إنسان مؤمن بالله كنوزاً من الحب المجبول بالإيمان، وعلى أن نستغله لمصلحة الأشخاص ذوي الإعاقة ولبناء الوحدة الوطنية مع احترام التعددية الدينية. ولذلك خطابنا إلى

الناس من خلال المركز ولجانته المتعددة هو دعوة المؤمن المسلم والمسيحي إلى ممارسة إيمانه وإظهاره في رعاية المعاق. وهكذا يتم الحوار الديني لا بالكلام حسب التقليد الجاري في العلاقة الطيبة بين المسيحيين والمسلمين، ولكن بإظهار هذا الإيمان من خلال الموقف. فنقول للمسلم، أنت تقول وتؤمن أن الله رحمن رحيم، إذن تعال ومارس هذه الإيمان من خلال خدمة المعاق، فتعمل في هذا الاتجاه من خلال محبتك وقبولك للمعاق ومساعدته، كي يتحول إيمانك ودينك إلى عمل وممارسة. وكذلك نوجه الخطاب ذاته إلى المسيحي، الذي يقول إن " الله محبة"، فحسننا ما تقول، فتعال ومارس هذه المحبة مع أخيك المسلم. وأحيانا ما يتجه الحوار الشعبي أو ما يعرف بالجدل الديني إلى المجاملة أو يسعى كل طرف لإثبات عقائده على أهما الأفضل والأعلى من عقيدة الآخر، مما يخلق جوا من التشنج والاحتقان، اللذان يقودان إلى الانغلاق والخوف من الآخر. بينما في خدمة المحبة التي يمارسها مركز سيدة السلام، فلا مجاملة على حساب إيمان كل طرف في دينه وعقائده، ولا تشنج واحتقان، بل ممارسة وتدريب في الحب والرحمة.

أما القضية الإيمانية الأخرى التي يعيشها المركز، فهي مجانية العطاء والخدمة. إذ لا يقبل أي مبلغ مالي مقابل العلاج أو الالتحاق بالمدرسة الخاصة لذوي الحاجات الخاصة. وإن شاء احد المستفيدين من خدمات المركز تقديم بدل الخدمة العلاجية أو التعليمية، فيقدم المال طوعا وليس بدلا عن نفقات معالجة المريض ذاته، ولكن يقدم المال، إن شاء، من اجل غيره من المرضى. ولذلك اوجد مركز سيدة السلام برنامج كفالة ذوي الحاجات الخاصة، ويعمل هذا البرنامج داخل الأردن وخارجه. بحيث يقدم المتبرعون طوعا المال للمركز ليس لعلاج مرضاهم، ولكن كفالة لعلاج آخرين من رواد المركز. فيدخل تقديم المال في باب الحسنة والصدقة وليس بدل العلاج.

3- خدمة ذوي الحاجات الخاصة في مركز سيدة السلام:

يضم مركز سيدة السلام مدرسة خاصة للأطفال ذوي الحاجات الخاصة وعيادة طب العيون والأسنان المعدتين بطريقة خاصة من حيث الجهاز الطبي والتمريضي والتجهيزات الفنية للتعامل مع حالات الإعاقة، وجناح العلاج الطبيعي المتكامل، بما في ذلك العلاج في بركة ماء خاصة معدة لاستشفاء المعاقين. إن مبدأ العمل يقوم في المركز بعدم فصل الطفل أو المعاق عن أهله، بل يأتي إلى المدرسة في حافلات المركز ثم يعود إلى بيته. ويشارك الأهل في مراحل دراسة الطالب المعاق وفي المراحل العلاجية، وتقوم لجان المركز بزيارة المعاقين في بيوتهم لتحقيق التفاعل الايجابي مع حالة الإعاقة داخل الأسرة. كما يستقبل المركز المعاقين البالغين لتقديم العلاجات الخاصة بهم في المركز، ولكن لا يبيتون فيه ويعودون إلى بيوتهم، فيضلوا على صلة بأسرهم.

4- لجان المركز وفروع المركز الخارجية:

أنشأ المركز على مر السنوات عدة لجان بجانب اللجنة المركزية من المتطوعين في مادبا وعنجرة والمفرق

والفحيص والعقبة والمغطس. بدأت هذه اللجان عملها كلجان تطوعية للمسيحيين، ولجان أخرى للمسلمين، وتجتمع اللجان المسيحية والإسلامية للتنسيق فيما بينها. ولكن مع مرور الزمن اكتشف الطرفان المسيحي والمسلم أنهما ينطلقان من أرضية دينية مشتركة، فاندمجت اللجان، في المركز والفروع في لجنة مشتركة يعمل فيها المسيحي والمسلم جنباً إلى جنب. وينشأ الحوار هنا في تفعيل المخزون الروحي والإيماني عند الطرفين، وتسخير خدمته ذوي الحاجات الخاصة. وانشأ المركز الرئيس في عمان فروعاً في المدن المذكورة سابقاً تعمل على استقبال ذوي الحاجات الخاصة ومعالجتهم. وقد تم تزويد هذه المراكز بالمعدات الضرورية من خلال تبرعات محلية وشراكة مركز سيدة السلام مع عدة جهات دولية.

5- مسيرات سيدة السلام:

شرع المركز الرئيس بالتعاون مع الفروع في إقامة مسيرات للمعاقين في مختلف مناطق البلاد لمكافحة ثقافة العيب من الإعاقة والخروج بالمعاق من بيته إلى المجال العام وإلى الشارع مع أهله وأصدقائه. وشارك في هذه المسيرات آلاف المواطنين والرسميين ورجال الدين المسيحي وعلماء الدين الإسلامي. فكنا نرى الراهبة جنباً إلى جنب مع الفتاة المحجبة أو المنقبة تدفعان مع الكراسي الخاصة المتحركة للمعاقين، وكذلك المطران والخوري وإمام المسجد ومدير الأوقاف، يعلمون الناس معاً ويشرحون لهم حب الله ورحمته كما تظهر لنا في نصوص القرآن والإنجيل. انطلقت هذه المسيرات من البلديات إلى الكنائس ومرات أخرى من الكنائس إلى المساجد، أو بالعكس، وتجمع المشاركون المسيحيون والمسلمون يمارسون المحبة والرحمة في بيوت الله. فتصل الرسالة إلى كل المشاركين مسلمين ومسيحيين، وهي أن المسجد والكنيسة هما مكانان مقدسان لمحبة الله وممارسة الخير والبر تجاه الإنسان الأقل حظاً في مجتمعاتنا.

ففي مسيرة الزرقاء 11-5-2006 أشار سيادة المطران سليم الصائغ: "إلى ضرورة دعم ذوي الحاجات الخاصة ومد يد العون لهم مشيراً إلى أن الله فرض علينا حسن التعامل معهم وإن يكون تواصلنا معهم إيجابياً ونكون رسل خير ومحبة. مشيراً إلى أن مركز سيدة السلام هو مؤسسة وطنية أردنية تعمل من خلال توجهها نحو شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة لتعميق إيماننا بالله الرحمن الرحيم وبث الرحمة وزرعها في بيت كل أردني فيه بالتأكيد أحد أفراد يعاني إعاقة ولهذا تأتي مسيرات المركز السنوية امتداداً للمحاولة في زرع المحبة في وطننا الغالي بين كل فئاته وتعاطفهم مع ذوي الاحتياجات الخاصة". وكتب الصحفي حنا ميخائيل سلامه في مناسبة مسيرة الزرقاء لسنة 2006 في صحيفة الرأي: "أنها مسيرة الخير والمحبة لمركز سيدة السلام لذوي الاحتياجات الخاصة، فرع الزرقاء. والتي انطلقت صبيحة يوم 2006/5/9 من مسجد أبي بكر الصديق "مسجد الشيشان" في وسط مدينة الزرقاء إلى كنيسة اللاتين، في رسالة حية تنم عن روح المحبة والتعايش بين أبناء الأسرة الأردنية الواحدة، وهذا ما يعبر حقيقة عن تماسك نسيجنا الوطني ولحمتنا وأصالتنا... إنه انتصار المحبة، والمحبة التي هي انطلاق المرء خارج ذاته لعيش مع الآخرين".

أما في مسيرة العقبة 17-12-2004 فقال سليمان بلبل مدير الأوقاف والمقدسات الإسلامية في العقبة: "أن الله عز وجل جعل اختلاف البشرية في ألوانها وأجناسها ولغاتها، وهذا التنوع يدل على عظمة الخالق ولا يجوز أن يتخذ وسيلة لتمزيق الأسرة بل وسيلة تعارف وتلاقي على الخير والمحبة ومصلحة الإنسان".

وكتبت الصحفية عبلة القدومي في الرأي الأردنية مقيمة خيرة المسيرات في مادبا: "أن تنطلق المسيرة الخيرة لذوي الحاجات الخاصة من مسجد، ثم تخترق الشوارع والشارع الرئيسي في وسط المدينة بجماهيرها من مختلف فئات المجتمع مع المعاقين وتتوجه إلى الكنيسة... فليس للإعاقة دين وليس لها وطن... فانطلقت المسيرة الثالثة في مادبا بالتعاون مع اللجان الإسلامية والمسيحية المشتركة في المحافظات والتابعة لمركز سيدة السلام لخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة ومن الجامع الغربي الكبير في مادبا إلى شوارع المدينة ثم إلى كنيسة دير اللاتين شارك فيها مع المواطنين بجماهير كبيرة المحافظ ورئيس البلدية ورجال الدين المسيحي والإسلامي... هذه المسيرات وان دلت على شيء فإنما على عمق التلاحم والوحدة الوطنية بأروع صورها ووحدة الأديان في البلد، بلد الخير والعطاء والأمان والانتماء والوفاء. فالمعاق هو هبة الله وامتحان للمؤمنين... ولم يعد المعاق في مجتمعنا ذلك المخلوق المنبوذ الذي نحجل منه ونتركه في زاوية منعزلة من أركان البيت، بل نمنحه الرعاية والاهتمام اللازمين لإدخال البهجة إلى قلبه ودمجه في المجتمع".

6- مركز سيدة السلام يستقبل قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في أيار/ مايو 2009:

إن أول محطة حطّ فيها قداسة البابا في زيارته للأردن بعد الاستقبال الرسمي في مطار الملكة علياء الدولي، وكان على رأس مستقبله صاحبها جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين والملكة رانيا العبد الله، كان مركز سيدة السلام. وهناك التقى قداسته بمستقبله وكان في مقدمتهم ذوو الحاجات الخاصة وأعضاء اللجان مسيحيون ومسلمون. فقد شاء منظمو الزيارة في الأردن أن يقدموا لضيف الأردن خبرتنا في التعايش الإسلامي المسيحي والعمل معا في حوار تطبيقي خلاق لخدمة المعاقين. وقال غبطة البطريرك فؤاد طوال بطريرك القدس شارحا هذه الخيرة: "إن المتطوعين هنا في سيدة السلام هم من المسلمين والمسيحيين وقيمة عملهم التطوعي المشترك تنبع من مبادئهم الدينية الإسلامية والمسيحية وهذه القيم ترسخ فيهم قيم الكرامة الإنسانية. وعملهم التطوعي يوفر لهم تجربة فريدة في التواصل والحوار الهادف مع الآخر والقائم على العمل المشترك بانفتاح تام دون تحفظ ودون أفكار مسبقة. يقوم عملنا على مبدأ الاحترام المتبادل. إن خدمتنا المشتركة تملأنا ثقة وتدفعنا إلى الانفتاح على الآخر. وهذه الثقة هي أساس لأي مجتمع بشري ناجح".

خاتمة:

يبدو أن مجتمعنا العربي الأردني يرى الصدقة وعمل الخير من وجهة نظر دينية، ابتغاء لمرضاة الله، وليس عملا إنسانيا فيلأثرويا بحتا. لذلك اتجه مركز سيدة السلام إلى تفعيل المخزون الديني الإسلامي المسيحي حول

الحسنة وعمل الخير، وتجسيد هذا الميل الديني الصادق من خلال العمل معا على خدمة المعاقين.
من ناحية أخرى، لا بد من ذكر أن هاجس الاسلاموفوبيا والكريستيانوفوبيا غدا إحدى مقولات هذا
العصر، وغدا هذان المصطلحان موضوعين دارجين في الفضائيات العربية والأجنبية. ولاسيما أن بعض الجهات
تربط بين الإسلام والإرهاب مثلاً، وبين المسيحية والاستعمار. دورنا اليوم أن نحل في أذهان المسلمين
والمسيحيين في مجتمعاتنا الاسلامو استيميا (الاحترام والتقدير) والكريستيان استيميا. وذلك من خلال العمل معا
في مجالات خيرية، احدها خدمة ذوي الحاجات الخاصة، ليكتشف المسلم والمسيحي معا من خلال الرحمة
والحبة الممارستين لأسباب إيمانية دينية، عظمة الرصيد الروحي والخيري في الأديان بحد ذاتها ولدى أتباعها.
فتشكل القناعات بإيجابية النظرة "الاستيميا" بدل "الفوبيا" من الآخر، مستعملين الانشطة والممارسات خيرية
لبناء جسور الثقة الاحترام المتبادل. إن خدمة ذوي الحاجات الخاصة معا كمسلمين ومسيحيين قد تكون غاية
بحد ذاتها، وهي غاية دينية إنسانية نبيلة تمارسها معا. ولكن في الوقت عينه هي وسيلة لإحلال الاستيميا محل
الفوبيا.

أدعوكم جميعاً في زيارتكم المقبلة للأردن، الاتصال بنا ومشاركتنا هذه الخبرة الإيمانية الروحية والتعرف عن
كتب على مركز سيدة السلام ودوره الريادي في خدمة ذوي الحاجات الخاصة لإثراء التواصل والحوار بين
الأديان.